مات الأديب

شعر علي بن جبريل أمين
مكة المكرمة

هيهات يبرد لا عجي ونواحي ... ونوائب تئد الثرى أفراحي
هيهات تسكن آهتي.. ومصائب ... تثري بكل المعضلات جراحي
هيهات ترقأ دمعتي، وأنا الذي ... كم قد رماني الشجو في أتراحي
هيهات والأنفاس تزفر من دمي ... غصصاً تهيِّج بالبلاء رياحي
هيهات.. لا ليلي سيمسح دمعتي ... كيما أسر به..ولا إصباحي
ما عاد يطربني الهزار بشدوه ... كلا.! ولا بغنائه الصداحِ
الحزن أرق مضجعي، ولواعج ... هيهات تطلق في الفضاء سراحي
لما أتاني نعيه غامت رؤى ... قلبي.! ومات الطير في أدواحي
نضبت مياهي، واستحالت أدمعي ... حمماً لبركاني، وهيض جناحي
ويلاه! كم تسقي الخطوب مباهجي ... بمدامة تجري بها أقداحي
سكر الفؤاد بخمرها! فكأنني ... صاح لمن يرنو.. ولست بصاحِ
كيف السبيل إلى الحياة وهذه ... فتن تكبل في الحياة مراحي
مات الأديب.. فيا لعيشٍ بعده ... ليست ترقصه خطا الملاحِ
مات الأديب..مصيبة جبارة ... ليس ابتهاجي عندها بمباحِ
خلعت وشاح السعد عن أرواحنا ... وكست قلوب الناس حزنَ وشاحِ
قتلت سروري.! وهي أسوأ قتلة ... بمُدى تلطخ راحة السفاحِ
مات الأديب.. فيا لعصر غائر ... في وحل جهل للعباد متاحِ
مات الذي حمل اليراعة قادرا ... كالموس بين أنامل الجراحِ
متفننا في حملها.. تشدو لنا ... شدوا له تصغي جميع الساحِ
رقصت بكل فضيلة كلماتها ... وغدت غياث الحب للأرواحِ

فلكم روت أرضاً يبابا بلقعا ... فغدت تزان بوردها وأقاحِ
صاغ الحديث - من الكتاب بهاؤه ... ومن الحديث رواؤه - بنجاحِ
فلكم شدا بالخير في عصر علا ... فيه النهيق.. وماج بين صياحِ
عصر يسيره الهوى، ويقوده ... لقراره المشؤوم كل إباحي
عصر يلمع كل من برذيلة ... يسري.! وكفر في العباد بواحِ
عصر به يبدو التدين ثلمة ... ويُرى به الأخيار كالأشباحِ
عصر يرقص بالقذى أوتاره ... ويدير كل كؤوسه بالراحِ
عصر به يبدو الجبان مناضلاً ... ينساب في الهيجا بغير سلاحِ
عصر النفاق! بهارج تبدو به ... لكنها كسرابه اللماحِ
وأتى الأديب بفكره ويراعه ... كيما يصوغ الحب في إصلاحِ
وأتى عليٌ بالفضائل حاملاً ... لسيوف حق في الورى ورماحِ
أضحى ينير الدرب أسود حالكاً ... شمساً تزيّن بالحبور بطاحي
كم من سرائر فكرة مغلوقة ... أدلى بها الأستاذ في إفصاحِ
كم قد أنار عقول قوم أظلمت ... يسري بكل عزيمة وكفاحِ
بضع وتسعون انقضت في همة ... قدماً يسيِّرها بغير جماحِ
حتى ذوى من بعد عمر حافل ... وخبا ضياء فتيلة المصباحِ
تبكي «دمشق» عليه وهي حزينة! ... مهلاً «دمشق» فكلنا لبراحِ
«والجامع الأموي» يحبس دمعه ... «بردى» يسيل بمدمع سحاحِ
«والأزهر» اضطربت رؤاه وقد ... بكى «اليمن السعيد» فهز كل نواحِ
مات الأديب فكم عيون تشتكي ... من حر دمع فاض في إلحاحِ
قلبي كواني حين أبصر جمعهم ... حملوا فقيدهم على الألواحِ
ساروا به يحدوهم حادي الأسى ... وأنا أداري دمعتي وألاحي
دفنوه في خير البقاع[1] يحفه ... ربح من الرحمن أي رباحِ

* * * * *

رباه جاز أديبنا واغفر له ... - رباه - كل خطيئة وجُناحِ
أسكنه في الفردوس مع أحبابه ... واجعل له - رباه - كل فلاحِ
واسكب شآبيب الرضا في قبره ... (في كل غدوة ساعة ورواحِ)

---

* دفن رحمه الله تعالى بمقبرة العدل بمكة المكرمة .